الإستخلاف كمدخل لمنهج الفكر الإقتصادى وملكية وسائل الإنتاج في الإسلام

- الاستخلاف والملكية :
- الملك :
- الخالق والخلق.
- مصادر الثروة التى خلقها الله .
- التسخير .
- الملك .. نسب الله الملك الى نفسه والى من خلق .
- الاستخلاف :
  - استخلف الله الانسان .
  - خلق الأشياء المادية بأسبق من خلق الانسان .
  - الهدف من الاستخلاف .
- الاستخلاف كمدخل للنظرية الاقتصادية في الاسلام .

obeikandl.com

obeikandl.com

الاستخلاف والملكية : الملك

كلمة مثلثة الميم تقرأ بالضم والفتح والكسر ولكن متى تقرأ هكذا ؟

أولا : الخالق والخلق

● **لقد نسب الله الخلق الى نفسه وأنكره على غيره :**

١ ــ نسبه الى نفسه فقال تعالى :

« ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » ٠
(الأعراف : ٥٤)

« قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » ٠ (الرعد : ١٦)

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه » ٠
(الأنعام : ١٠٢)

« الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل » (الزمر : ٦٢)

« ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو » (غافر : ٦٢)

« هو الله الخالق البارىء المصور » ٠ (الحشر : ٢٤)

٢ ــ أنكره على غيره فقال تعالى :

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » ٠ (الطور : ٣٥)

« أفرأيتم ما تمنون ٠ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ٠
(الواقعة : ٥٨ ، ٥٩)

« هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » ٠
(لقمـــان : ١١)

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم » ٠
(الرعد : ١٦)

obeikandl.com

« فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ، انا خلقناهم من طين لازب » ٠ (الصافات : ١١)

« أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها » ٠ (النازعات : ٢٧)

« هل من خالق غير الله » ٠ (فاطر : ٣)

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » ٠ (الحـــج : ٧٣)

« والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » ٠ (النحـــل : ٢٠)

« واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » ٠ (الفرقان : ٣)

* * *

ثانيا : مصادر الثروة التى خلقها الله

قال الله تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » ٠ (البقرة : ٢٩)

« وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق » ٠ (الأنعام : ٧٣)

« ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقـــون » (يونس : ٦)

« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق » ٠ (الحجر : ٨٥)

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » ٠ (الأنبياء : ١٦)

« لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا » ٠ (الفرقان : ٤٩)

« وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » ٠ (يس : ٤٢)

« أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون » ٠ (يس : ٧١)

« والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » .
(النحل : ٥)
« والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق مالا تعلمون » .
(النحـــل : ٨)
« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .
(العنكبوت : ٢٠)
« ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة » .
(الشـــورى : ٢٩)

فالآيات الكريمـات تدلنا على أن الله سـبحانه خلق السـموات والأرض ، وما بينهما وما فيهن ، وما بث فيهما من دابة ، وخلق الأنعام وأفردها بالذكر هى والدواب ، وجعل منها المنافع ، كالدفء والمـأكل والركوب ، أى ما يمكن تسميته بالثروة الحيوانية ووسائل الانتقال ، لقوله تعالى : « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » وكل ذلك من مصادر الثروة المهيئة والمعدة لاستخدام الانسان ومنفعته ، اما على الاباحة الأصلية أو بطريق الحيازة والاختصاص .

* * *

ثالثا : التســـخير

● لقد سخر الله للانسان أشياء كثيرة مما خلق فقال تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » . (البقرة : ٢٩)
« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » .
(لقمـــان : ٢٠)
« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين » . (ابراهيم : ٣٣)
« وسخر لكم الليل والنهار » . (ابراهيم : ٣٣)
« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » . (النحل : ١٢)
« وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا » .
(النحل : ١٤)
« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » .
(الجاثية : ١٢)

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف » ... « كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » .

(الحج : ٣٦)

« والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

(البقرة : ١٦٤)

« والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » (الأعراف : ٥٤)

« ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله » .

(النحل : ٧٩)

« وسخر لكم الأنهار » . (ابراهيم : ٣٢)

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » .

(الجاثية : ١٣)

« وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير » . (الأنبياء : ٧٩)

« فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب » .

(سورة ص : ٣٦)

فالآيات الكريمات تدلنا على أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض وسخر للانسان ما فى الأرض جميعا ، وما فى السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم والليل ، والنهار ، والبحر ، والأنهار ، والطـــير :

(أ) كل ذلك يدل على أنه يجب على الانسان بعد ذلك أن يعمـل ويكد ويكدح بعد أن هيأ الله له كل هذه المصادر والوسائل ، وهنا تبرز بوضوح شديد الأهمية الكبرى للعمل كأساس للانتاج ، ومن ثم تحديد قيمة المنتج والسعر أيضا ، فلابد من الأعمال الانسانية فى كل مكسوب .

(ب) ثم ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال بنماذج من العمـل والضرب والسعى ، فقال تعالى : « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا » .

وقال : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » .

وقال : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير » .

ولعل فى تخصيص هذه الأمثال بالذكر من حكمة بالغة ، فالآيات الأولى تدل على العمل المباشر فيما سخره الله للانسان من بحار وأنهار وما فى الأرض ، والآيات الثانية فى (ب) تدل على العمل فيما هو معد فعلا « للاشباع » لما فيها اعداد سابق لقوله تعالى : **« لتأكلوا منه لحما طريا »** .

وضرب الرسول الكريم ﷺ نموذجا عمليا حينما جاءه من يسأله الصدقة فنظر اليه فوجده جلدا فسأله ﷺ ماذا عندك ؟ .. فقال : عندنا قدر نشرب منه وحلس نجلس عليه . فقال له ﷺ : اذهب وائتنى بهما ، ففعل الرجل فقال الرسول ﷺ : من يشترى هذه ؟ .. فقال أحد الجالسين: أنا يا رسول الله بدرهمين . فقال ﷺ : من يزد ؟ .. فقال رجل آخر : أنا يا رسول الله بأربعة دراهم ، فأخذها الرسول ﷺ وأعطى الرجل درهمين : لنفقة أهله وقال له : اذهب واشتر بالدرهمين الآخرين قدوما واحتطب وبع ، ولا تأتينى الا بعد خمسة عشر يوما ، ففعل الرجل وعاد الى الرسول ﷺ ومعه خمسة عشر درهما .

ففى هذه القصة التى تمثل موقفا من صاحب الشرع الشريف تحققت فيها عملية انتاجية شرعية كاملة توفرت فيها كل عوامل الانتاج وأدواته من (عمل — مال — منظم) .

* * *

رابعا : الملك

● نسب الله الملك الى نفسه والى من خلق :

١ — نسب الله الملك الى نفسه فقال تعالى :

« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » .

(البقرة : ١٠٧ ، المائدة : ٤٠)

« قل اللهم مالك الملك » . (آل عمران : ٢٦)

« ولله ملك السموات والأرض ، والله على كل شىء قدير » .

(آل عمران : ١٨٩)

« **ولله ملك السموات والأرض وما بينهما** » . (المـائدة : ١٨)
« **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** » . (المـائدة : ١٢٠)
« **الرحمن على العرش استوى . له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** » . (طـه : ٥ ، ٦)

٢ — نسب الله الملك الى من خلق فقال تعالى :

« **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء** » .
(آل عمران : ٢٦)
« **قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** » .
(طـه ١٢٠)
« **أم لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون الناس نقيرا** » .
(النساء : ٥٣)
« **فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما** » .
(النساء : ٥٤)
« **والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم** » (البقرة : ٢٤٧)
« **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لهم مالكون** ».
(يس : ٧١)

ومن الآيات السابقة نستدل على أن الملك — بالضم — ينسب الى الله سبحانه وقد نسبه أيضا الى الانسان ، كما أن الانسان حين يكتسب هذا الملك ، أو يحوز شيئا مما خلقه الله وسخره له تصبح يده عليه يد ملك وقبل ذلك فهو فى ملك الله سبحانه وتعالى ، فلا بد للانسان من اتيـان سبب من أسباب الملك كى تتحول يده الى يد مالك ويدخل حيازته الملك .

* * *

خامسا : الاســتخلاف

١ — لقد استخلف الله الانسان على ما خلقه وسخره له فقال تعالى :

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم** » . (النور : ٥٥)

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم » . (الأنعام : ١٦٥)

« ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » .
(يونس : ١٤)

« وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ، فمن كفر فعليه كفره » .
(فاطر : ٣٩)

« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . (الحديد : ٧)

« وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح » .
(الأعراف : ١٤٢)

« الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين » .
(السجدة : ٧)

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . (النور : ٣٣)

« وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت » .
(المنافقون : ١٠)

* * *

٢ ــ لقد كان خلق الأشياء المادية أسبق من خلق الانسان ، يدل على ذلك قول الله تعالى :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » .
(البقرة : ٣٠)

« يا داوود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » .
(سورة ص : ٢٦)

« هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا » . (الأنعام : ٢)

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » . (المؤمنون : ١٢)

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » . (الأنعام : ١٦٥)

«أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض» .
(النمل : ٦٢)

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » .
(الاعراف : ٥٤ ، يونس : ٣)

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق النـــاس ولكن أكثـــر الناس لا يعلمون » • (غافر : ٥٧)

وتأسيسا على ذلك وانطلاقا منه يكون الاستخلاف واردا على تلك الأشياء التى سخرها الله للانسان ووجب عليه أن يباشر فيها حق الملك بكل ما يؤدى اليه من استعمال واستغلال وتصرف حتى لا يتعطل المـــال عن أن يؤدى دوره فى اقامة حياة الناس وحتى لا يتقاعس الناس عن تحصيل منافعهم وتحقيق مصالحهم فى الحياة فالمـــال عصب الحياة •

* * *

٣ ــ الهدف من الاستخلاف :

أناط الله بالانسان عمارة الأرض فقال تعالى :

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » •

(الملك : ٢)

« هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » • (هود : ٦١)

لقد ثبت لنا مما تقدم من آيات قرآنية ما يمكن استخلاصه منهـــا وهو أن :

- الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء •
- سخر الله للانسان مما خلق أشياء ذكرناها •
- ضرب الله للناس الأمثال فى العمل والانتاج فيما ذكرنا •
- حدد المقصود والمراد والهدف من كل ذلك وهو ليبلونا أينا أحسن عملا فى عمارة الأرض •

وفى كل ذلك تحديد لماهية الاستخلاف ووسائله ونطاقه •

(أ) مضمون الاستخلاف :

نتدرج بالمعانى مع الآيات القرآنية التى سبق ذكرها ، فنقول وبالله التوفيق : ان معنى تسخير الله سبحانه لأشياء مما خلق للانسان لتكون محلا لملكه ، أو ملكيته ، تقرير « لحق » ، حق الانسان فى أن يملك أو يتملك شيئا مما خلقه الله ، وســـخره له ، وجعله صـــالحا لتملك الانســـان •

وهذا يقتضى القاء الضوء على معنى الحق •••

فالحق فى اللغة هو الأمر الثابت الموجود ، ومن هذا المعنى للحق تعددت تعريفات الفقهاء للحق باختلاف نظرهم اليه • والحق عند الأصوليين : هو متعلق خطاب الشارع ، وليس نفس خطاب الشارع ، أى أثر خطاب الله ، واذا كان الله سبحانه قد سخر من الأشياء التى خلقها أشياء للانسان ، فان ثبوت حق الانسان فى تملك شىء مما سخره الله ، انما كان هو متعلق أو أثر ذلك الخطاب من الله سبحانه وتعالى ،

وعلى هذا النحو يكون المعنى الجامع للحق هو :

ما ثبت باقرار الشارع ووفقا لقواعده وأحكامه ، فالحق ما استحقه الانسان على وجه يقره الشرع ، ويحميه ، ويمكنه منه •

واذا ما تقرر الحق للانسان كأثر لخطاب الله بالتسخير ، فان علاقة الانسان بالشىء المسخر له أو المقرر له عليه حق ، يثبت وتقوم اذا ما استعمل الانسان وسائل الحصول على هذا الحق ، أو أتى الأسباب المكسبة لهذا الحق ، وهنا يتحول الحق من حالة تقرير الى حالة حركة تثبت بمقتضاها علاقة شرعية تخول صاحبها سلطة أو تكليفا شرعيا •

فالله سبحانه وتعالى وقد أضاف الملك الى نفسه والى الانسان ، وأنعم على الناس بتقرير الحق الشرعى لهم فى الاستئثار والانتفاع والاستثمار وشرع لهم بمقتضى ذلك الحق ، السلطة والقدرة والمكنة التى تيسر للناس كل ذلك ، كان ذلك منه استخلافا لهم على هذه الأشياء لتقوم بهم ولهم عمارة الأرض • ومن هنا كان الملك خلافة أو استخلافا ، وكان للانسان بتقرير هذا الحق واستعماله نوع ملك على سبيل الحقيقة الظاهرة ، يتلقى فيه تنفيذ الأحكام الشرعية ، من أوامر ونواهى ، مثل قوله تعالى :

« **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » • (الحديد : ٧)

وقوله تعالى : « **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** » • (النور : ٣٣)

وقوله تعالى : « **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** » • (النساء : ٥)

وقوله تعـــالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » .
(البقرة : ١٨٨)

وقوله تعالى : «**والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم**».
(المعارج : ٢٤ ، ٢٥)

وقوله تعـــالى : « **وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم . ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم** » .
(محمد : ٣٦ ، ٣٧)

ويقول الرسول الكريم ﷺ : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم ليسألكم عن أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم » .

أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم » .

ومن هذا يتبين أن الاستخلاف ليس الا اعتبارا شرعيا ، يوجد حيث تقضى الشريعة بوجوده ، وينتفى حيث تنفيه الشريعة ، أى فى نطاق أحكامه وأوامره ونواهيه .

(ب) وســـائله :

ويمكننا أن نخلص مما سبق الى نتيجة هامة هى :

١ ــ ان عناصر وعوامل الانتاج فى ضوء ما سبق ثلاثة :

(١) العمل : باعتباره حلقة الاتصال بين الملك وما خلقه الله وسخره للانســـان .

(٢) المـــال المحاز أو المحرز : باعتبار أنه ليس كل الأشياء المسخرة صالحة لحيازة الانسان .

(٣) التقوى : باعتبار أنها تتسع لتشمل العنصرين الآخرين وفـــق منهج الاستخلاف .

وعنصر التقوى عنصر معنوى بطبيعته ، يقاس بنتائجه المـــادية كما أن هناك أسباب مادية تؤدى الى نتائج معنوية وأخـــروية كالعـــارية والصدقات ، كل ذلك مع الأخذ فى الاعتبار الايمان بالغيب وأن الحيـــاة الآخرة فى المنهج الاسلامى خير من الأولى وأنها الحياة الباقية وأن التربية الوجدانية الداخلية من أهم ما يعنى به الاسلام لهذا ولغيره .

التقوى من عوامل الانتاج :

فلقد وضح الربط بين التقوى كأساس عقدى وبين الانتاج كمظهر مادى فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :

« وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » ٠
(البقرة : ٢٢)

« وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها » ٠
(البقرة : ١٦٤)

« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » ٠
(آل عمران : ٣٧)

« ان الله فالق الحب والنوى » ٠ (الأنعام : ٩٥)

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء » ٠
(الأنعام : ٩٩)

« والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا » ٠ (الأعراف : ٥٨)

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » ٠ (الأعراف : ٩٦)

« ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » ٠ (فاطر : ٢٩)

« واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ٠ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالهما نهرا ٠ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ٠ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ٠ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ٠ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ٠ لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ٠ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ، ان ترن

انا أقل منك مالا وولدا • فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا • أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا • وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا » •
(الكهف : ٣٢ — ٤٢)

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » • (طه : ١٢٤)

« وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » • (الحج : ٥)

« ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتهـا ليقولن الله » • (العنكبوت : ٦٣)

« يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم » •
(الشعراء : ٨٨ ، ٨٩)

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بمـا كانوا يصنعون » (النحل : ١١٢)

« أفرأيتم ما تحرثون • أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » •
(الواقعة : ٦٣ ، ٦٤)

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها » • (سبأ : ٢)

« أفرأيتم المـاء الذى تشربون • أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » • (الواقعة ٦٨ ، ٦٩)

« لايلاف قريش • ايلافهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هذا البيت • الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (سورة قريش)

* * *

٢ — **الحيـاة فى المنهج الاسـلامى حياتان** : الحيـاة الـدنيا والحياة الآخرة ، والآخرة خير ، وأفضل ، وأبقى ، من الأولى بـل هى الرجاء والمرجوة ولقد وصف الله الآخرة بقوله تعالى :

« والآخرة خير وأبقى » • (الأعلى : ١٧)

« وللآخرة خير لك من الأولى » • (الضحى : ٤)

« وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » . (الاسراء : ٢١)

« والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون » .

(الأعراف : ١٦٩)

« اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

(العنكبوت : ٣٦)

أما الحياة الأولى (الدنيا) فلقد وصفها الله بأوصاف يفهم منها أن كل ما اشتملت عليه مذموم فقال تعالى :

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهـو ، وللدار الآخرة خير للذين يتقـون » . (الأنعام : ٣٢)

« والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون » .

(الأعراف : ١٦٩)

« تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » . (الأنفال : ٦٧)

« أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » . (التوبة : ٣٨)

« وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع » .

(الرعد : ٢٦)

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة » . (ابراهيم : ٣)

« اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

(العنكبوت : ٣٦)

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان ، لو كانوا يعلمون » . (العنكبوت : ٦٤)

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم » .

(الحديد : ٢٠)

« وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » . (آل عمران : ١٨٥)

وبين سبحانه وتعالى زينة الحياة الدنيا ومتاعها فقال تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المـآب » . (آل عمران : ١٤)

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » . (الكهف : ٤٦)

كما بين سبحانه وتعالى أنها زائلة فقال تعالى :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها آتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » . (يونس : ٢٤)

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا » . (الكهف : ٤٥)

« انما هـــذه الحياة الدنيا متاع » . (غافر : ٣٩)

عن ابن مسعود قال : قال الرسول ﷺ : « مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شـــجرة ثم راح وتركها » .

(أخرجه الترمذي وصححه)

الى جانب ما تقدم من وصف وبيان للدنيا يدل على ذمها والالتفات عنها وجد فيها من آيات الله ما يقتضي مدحها والالتفات اليها .

ففيها ما يدل على وحدانية الله وصفاته العلا . يقول الله تعالى :

« أفلم ينظروا الى الســماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » . (سورة ق : ٦)

وقوله تعالى : **« أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا » .**

(النمل : ٦١)

« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله » .

(المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥)

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .

(آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١)

وفيها — الدنيا — من النعيم ما امتن الله به على عباده فقال تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار • وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهـــار • وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمـــة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » • (ابراهيم : ٣٢ — ٣٤)

وقال تعالى : **« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا »** • (النحل : ٧٢)

ولذلك قال تعالى : **« كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور »** • (سبأ : ١٥)

وقال : **« ولتبتغوا من فضله »** • (النحل : ١٤)

وكما قال الامام الشاطبى[1] : فعد طلب الدنيا فضلا كما عد حب الايمان وبغض الكفر فضلا فأنزل الله الاحكام وشرع الحلال والحرام تخليصا لهـــذه النعم التى خلقها لنا من شوائب الكوارث الدنيويات والأخرويات •

ويزيد الأمر وضوحا فيقول :

فالنظر الى الدنيا باعتبارها عيشا ومقتنصا للذات ومآلا للشهوات انتظاما فى سلك البهائم فهذا لعب وباطل لأن صاحب هـــذا النظر لم ينل منها الا مأكولا ومشروبا وملبوسا ومنكوحا ومركوبا من غير زائد ثم يزول عما قريب ومن هـــذا نظر الكفار الذين لم يبصروا منها الا ما قال تعالى من أنها لعب ولهو وزينة وغير ذلك مما وصفها به ولذلك صارت أعمالهم **« كسراب بقيعة يحســـبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شـــيئا »** • (النور : ٣٩)

ومن نظر الى الدنيا نظر العاقل وجد كل نعمة فيها يجب شكرها فالنعم طالبة للعبد أن ينالها فيشكر الله بها وعليها ومن هنا كانت الدنيا جد وحق يقول الله تعالى :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا » • (المؤمنون : ١١٥)

« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين • وما خلقناهما الا بالحق » • (الدخان : ٣٨ ، ٣٩)

---

(١) الموافقات ج ٤ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ بتصرف •

ولأجل هـذا كانت أعمال أهل هـذا النظر معتبرة شرعا يقـول الله تعالى : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن فلنحيينه حياة طيبـة** » • (النحل : ٩٧)

فالأخذ للدنيا رغبة فيها وحبا فى العاجلة وتركها والزهد فيها من حيث يجب طلب ما فيها من نعم الله وشكره بها وعليها كل أولئك مذموم بل يسـمى سفها وكسلا وتبذيرا ومن هنا وجب الحجر على صاحب هـذه الحالة شرعا[٢] •

* * *

٣ — الغنى والفقـر :

ليس الفقر أفضل من الغنى باطلاق ولا الغنى أفضل باطلاق بل الأمر فى ذلك يتفصل ، فان الغنى اذا أمال الى ايثار العاجلة كان بالنسبة الى صاحبه مذموما وكان الفقر أفضل منه وان أمال الى ايثار الآجلة بانفاقه فى وجهه والاستعانة به على التزود للمعاد فهو أفضل من الفقر •

* * *

● **الاستخلاف كمدخل للنظرية الاقتصادية فى الاسلام :**

اتضح لنا من العرض السابق أن الاستخلاف متعلق بالحكم الشرعى المتمثل فى خطاب الله تعالى بتسخير الأشياء التى خلقها وجعلها معدة وصالحة لأن يباشر الانسان فيها حق الملك بأحد أسباب كسب الملكية التى قررها الشرع وهو ما ينفرد به نظام الملكية فى الاسلام عن غيره من نظم الملكية الأخرى فى المناهج الاقتصادية الوضعية ، وما ترتب على ذلك من أنواع وأقسـام للملكية تختلف عما هو قائم فى النظريات الاقتصادية الرأسمالية أو الاشـتراكية والشيوعية بما تحدثه هـذه الأنواع من انعكاسات ايجابية وفعالة فى عملية الانتاج فى المجتمع •

وعلى هـذا المنحى فان الملك فى الاسلام يعتبر من أهم مقومات النظام الاقتصادى مما يستوجب بسط موضوع الملكية على نحو يضبط جزئياته ويكشف عن حقيقة مزاياه وتميزه عن غيره فى خضم هذا التصارع العنيف ، بين « الأيدولوجيات » والنظريات الاقتصادية المعاصرة فى شرق العالم وغربه وهو ما سنتناوله فى الفصول التالية •

---

(٢) انظر الموافقات للشاطبى ج ٤ ص ٣١٠ بتصرف •